الأستاذ الدكتور عدنان إسماعيلي، رئيس قسم اللسانيات الشرقية في جامعة تيتوفا الحكومية

الجهود العلمية في قسم "اللسانية الشرقية" في جامعة تيتوفيا الحكومية

سدّ قسم "اللسانيات الشرقية" فراغا هائلا في مجال تعلم اللغة العربية وتعليمها للناطقين بغيرها في جمهورية مقدونيا الشمالية. إذا عرفنا أن اللغة العربية جزء لا يتجزأ من تراث الشعوب البلقانية عموما ومن الشعب الألباني خصوصا، فقسم "اللسانيات الشرقية" بذل جهودا رائعة في نبش الآثار العربية الموجودة في تراث تلك الشعوب التي حاول النظام الشيوعي دفنَها ومَحْوَها أيضا.

رغم أن برنامج التعليم في قسمنا يشبه برامج أقسام الاستشراق المتماثلة في العواصم البلقانية الأخرى مثل سارايفو وبريشتينا وبلغراد، فإنها توافق مع المعايير العلمية الدولية.

سوف نتناول في هذا البحث المتواضعِ المناهجَ الدراسيةَ الجارية في قسمنا، حيث نود أن نسلط ضوءا على المواد الدراسية والكوادر العلمية والكتب المقررة فيه.

كذلك، سوف نعالج قضية الطلاب الخريجين وكفاياتهم التي يكتسبونها خلال دراستهم في قسم اللسانيات الشرقية في جامعة تيتوفا. وبعدها سنعرض محاور البحوث والرسائل العلمية المناقشة حتى الآن في مقعدنا الدراسي.

وسوف نحاول من خلال هذا البحث أن نعطي صورة موجزة وواضحة للبحث العلمي والبرنامج التعليمي في مجال اللغة العربية في قسم "اللسانيات الشرقية".

لمحة تعريفية عن منهجية المقعد الدراسي "اللسانيات الشرقية"

قبل الولوج في التحليلات العميقة لمنهجية التعليم فيه نودّ أن نسلط ضوءا على النظام العام للمقعد. العام الدراسي الأول والثاني

منذ افتتاح جامعة تيتوفا في عام 1994 اقترح بعض الأساتذة المشهورين تأسيسَ قسم خاص يهتم بالقضايا الاستشراقية عموما وبالقضايا اللسانية العربية خصوصا. مع أن هؤلاء الأساتذة أصروا في تحقيق حلمهم، فالظروف السياسية للجامعة حينذاك أفشلت هذا المشروع وتركته جانبا.

إن المؤسّسات والمعاهد التعليمية الإسلامية في جمهورية مقدونيا الشمالية بذلت جهودا كبيرة في مجال الدين الإسلامي ولكنها لم تملأ الفراغ اللساني والثقافي، وخاصة عندما نعرف أن في معجم اللغة الألبانية أكثر من ألف كلمة أصلها عربي، وأثرها مبثوث في شتى المجالات العلمية والعملية للألبانيين.

وهكذا، بعد أكثر من خمسَ عشرةَ سنة افتُتِحَ المقعد الدراسي المسمى "اللسانيات الشرقية"، وهذا بمبادرة من سيادة الدكتور إسماعيل أحمدي وسيادة الدكتور عدنان إسماعيلي الذي يدير هذا المقعد منذ تأسيسه وإلى يومنا هذا.

في عام 2009، في إطار كلية الفلسفة لجامعة تيتوفا الحكومية تمّ افتتاح قسم الاستشراق، ببرنامجين اثنين، فهما: برنامج اللغة العربية وآدابها وبرنامج اللغة التركية وآدابها. في السنة الأولى والثانية يدرس الطلاب الموادّ المشتركة، أما في السنة الثالثة والرابعة، يختار الطلاب أحد البرنامجين، إما اللغةَ العربية وإما اللغةَ التركية.

ومن خلال دراسة اللغة العربية وآدابها تدرس علوم اللغة العربية جميعها بالتفصيل، لكل منها مادّة دراسية خاصّة، مثل:

علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم المعاجم، والمحادثة لكل فصل دراسي؛ ونظرية الأدب، وتاريخ الأدب، والنقد الأدبي وبلاغة القرآن، وأسلوبية القرآن الكريم، وعلم اللغة وفقه اللغة، والأدب الألباني المكتوب بالخط العربي، والأدب البيتجي، والشعراء الألبان المتأثرون بالأدب العربي والدين الإسلامي إلخ.

وهنا لن نتحدث عن الساعات الأسبوعية التي تسع هذه الموادّ المتعلّقة باللغة العربية لأنها في خدمتها وآدابها بأكملها، باستثناء بعض الموادّ الثقافية تتعلّق بالمدنية الإسلامية وتاريخ العرب أو بما لا مفرّ منها. وهذه هي المؤسّسة الوحيدة في المنطقة التي تمنح للطلاب دبلوم اللغة العربية بـ (240 (ECTS

كذلك، منذ عام 2014/2013 استطاع قسمُنا أن يمنح للطلاب فرصة الدراسات العليا، أما بدءا من العام الدراسي (2018-2019) فأعْطِيت الفرصة للطلبة الراغبين في اللغة العربية لمواصلة الدكتوراه أيضا.

منهجية التعليم في مستويات التعليم الثلاثة

هنا سنتحدث عن منهجية التعليم في قسمنا الدراسي، وخاصة للخطوط العامة في المستويات التعليمية الثلاثة عندنا. الفرق المنهجي بين البكالوريوس، وماجستير ليس كبيرا لأن النقطة المحورية في ماجستير هي الرسالة. كذلك الفرق بين ماجستير ودكتوراه صغير إلا أن أطروحة دكتوراه أوسع وأدقّ.

بعد القرار لاستفتاح المقعد الدراسي "اللسانيات الشرقية" كان يتطلب الأمر منا أن نرسم الخطوط الرئيسة للبرنامج الدراسي العام للقسم، لذلك استشرنا الأساتذة الخبراء والكليات المتماثلة في بلقان وفي خارجها لتجهيز برنامج يناسب ظروفنا ويسدّ حاجاتنا، وخصوصا لاختيار الموادّ الدراسية ومحتواها. قد ساعدتنا كثيرا على إعدادها البرامجُ الدراسية لكلية الاستشراق في سارايفو وفي برشتينا وفي تركيا والبلدان العربية وإلخ.

وأخيرا أتَيْنا ببرنامج متواضع ومناسب لِقِسْمِنَا، كذلك لا نستبعد إمكانيةالتعديل لبعض الموادّ وتغييرها بالموادّ الأخرى ذات أهمية أكثر.

هكذا استطعنا لمدة قصيرة، بمساعدة أساتذتنا المتخصصين، تجهيز كوادر جديدة من طلابنا، الذين يدرّسون الآن اللغة العربية والتركية في قسمنا وفي مدارس أخرى حيث تُدرس هاتان اللغتان. كذلك، وظّفنا المعلّمين الألبان الخرّيجين في البلدان العربية، وهما: طلحة كورتيشي الخريج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبكيم سليماني الخريج في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

منهج التدريس لدى الأساتذة من كبار السنّ تختلف عن منهج التدريس لدى الأساتذة الجُدَدِ. أسلوب هؤلاء الأساتذة يوصف بالرتابة، لأنهم تحت تأثير النظام التعليمي السابق، الذي كان يوصف بالرتابة، حيث الأساتذة لم يسمحوا للطلبة التدخّلَ للسؤال ما يريبهم من خلال إلقاء المحاضرة، وكان أكثرهم يلقون المحاضرة ويخرجون من الصف مباشرة، وهذا هو السبب الذي دَفَعَنا أن نُشَغِّلَهم بالموادّ القواعدية. أما الأساتذة الجدد فهم متأثرون من الأساليب الحديثة لاكتساب لغة جديدة فيتفاعلون مع الطلبة أكثر فأكثر. كذلك، قانون التعليم العالي في مقدونيا الشمالية يُجْبِر المدرّسين على تقسيم وقت الحصة إلى المحاضرة والتدريبات، وإما فهي غير قانونية، حتى توجد موادّ دراسية يغلب فيها عدد الساعات التدريبية على ساعات المحاضرة، وخاصة في المحادثة وفي تطبيق اللغة.

التعليم التفاعلي هو بيت القصيد

يعتبر التدريس التفاعلي خطوة مهمّة في عملية اكتساب لغة أجنبية. وبناء على ذلك، وبصفة أستاذ المادة "العربية الحديثة"، حاولت ولاأزال أحاول أن أحترم جميع المعايير المطلوبة. أولا، نقرأ نصا معيّنا، ويستخرج الطلاب الكلمات التي لا يفهمونها، ثم نترجم النص معا. وبعد ذلك، ننتقل إلى التدريبات المتنوّعة، حيث يربطون، ويملؤون، ويختارون، وينطقون وإلخ. وأخيرا، يضطرّ الطلبة إلى المحادثة أو الحوار مع الزملاء لكي يطبّقوا ما درسوا حتى الآن. هكذا، يتمكّن الطالب من اكتساب المهارات اللغوية بشكل جيد، مثل: الاستماع، والقراءة، والمحاورة، والكتابة والتعبير.

وهذا يجري حسب البرنامج المقرر لمادة المحادثة المسمّاة بـ"اللغة العربية الحديثة"، ساعتان للمحاضرة وساعتا للتدريب لكل فصل دراسي. في البداية كنّا نستعير نصوصا متنوعة الأدباء المشهورين العرب ، أما الآن نستخدم كتبنا التي ألّفناها لهذه المهمّة، والكتب العربية للأدباء والعلماء العرب أيضا، والتي تحتوي نصوصا تجذب اهتمام طلابنا وتناسب ظروفنا أيضا، علاوة على العناصر من الثقافة العربية والإسلامية، استطعنا أن نقدّم لهم صورا من ثقافتهم بلغة أخرى. الكتابَ الأول ألّفته أنا شخصيا، والثاني للأستاذ الدكتور إسماعيل أحمدي، والثالث للأستاذ يحيى هوندوزي، والرابع لي وللأستاذ يحي هوندوزي معا. وفي تأليف هذه السلسلة استعرنا بعض النصوص من الكتاب "العربية للناشئين" منشور في المملكة العربية السعودية. مع ذلك، الطلبة لا يقدرون على المحادثة بشكل ممتاز، وسنتحدّث عن هذه المشكلة فيما بعد. كذلك وضعنا في كل وحدة دراسية قاعدةً نحويةً ليتعلّم الطالب النصوص والقواعد كليهما معا. وهكذا يتمكّن المتعلّمون من اكتساب القواعد النحوية بشكل أسهل وأسرع.

كذلك، نطلب من الطلاب أن يستخدموا الوسائل الإلكترونية للدخول في مواقع إلكترونية متخصصة باللغة العربية ويستفيدوا منها. ونشجّعهم على متابعة القنوات التلفزيونية العربية والراديو المواقع الإليكترونية العربية وإلخ.

فالموادّ الأخرى التي تُدَرَّسُ في مقعدنا هي "علم الصرف العربي"، و"علم النحو العربي" و"ترجمة النصوص العربية القديمة" و"ترجمة النصوص العربية الحديثة" وإلخ. كذلك، لدينا موادّ أخرى تتعلق بالأدب، التي يدرِّسها أساتذة الأدب الخبراءُ.

منهج تعلّم القواعد النحوية عندنا في شبه جزيرة بلقان يختلف عن المنهج الذي يُستخدم في العالم العربي. الدول البلقانية كلها، مثل تركيا، بوسنة، وكوسوفا، وألبانيا، وصربيا ومقدونيا الشمالية تستخدم نفس الطريقة تقريبا لتدريس القواعد النحوية للغة العربية. بقي هذا الأسلوب التعليمي في مناطقنا منذ

العهد العثماني، وبعد ذلك طوّر خبراءُ التعليم في تركيا وفي يوغوسلافيا السابقة هذا الأسلوب تدريجيا حتى وصلوا إلى شكله الحالي في الثلاثينيات من القرن الماضي. ثم تمّ تطبيق هذا المنهج في جميع الدول البلقانية.

ويتميّز هذا المنهج بأسلوبه الرائع عند الأفعال، وخاصة عند المجردات والمزيدات. يتعلّم الطلاب في العالم العربي صِيَغ هذه الأفعال كلها في درس واحد، أما عندنا، فقد وزّعناها في دروس متعددة، حيث يستغرق كل صيغة منها درسا خاصا بها، ونضع صيغة المصدر عنوانا لها. ويعدّ هذا الأسلوب أسهل لظروفنا، لأنه يمكّن الطلابَ من اكتساب الصيغ الفعلية الواحدة تلو الأخرى، ولو استغرق وقتا أكثر. مع ذلك، يواجه الطالب بالصيغ الكثيرة التي يجب حفظها، حيث أرى من المحتمل أن نقلّلها ونبسّطها أكثر.

كذلك نستخدم كتبا نحوية ألّفها أساتذتنا مثل الكتاب "علم الأصوات وعلم الصرف العربي" للأستاذ الدكتور إسماعيل أحمدي والكتاب "النحو العربي" للدكتور زبير لاتا.

البحوث المناقشة في مرحلة البكالوريوس وماجستير

مع أن قسمنا الدراسي جديد العهد وفيه عدد قليل من الطلبة، سوف نعرض أهم الأبحاث لنيل شهادة بكالوريوس وماجيستير في مقعدنا الدراسي، حيث نلحظ أن الهدف الرئيس يتركز في الدراسات المقارنة بين التراث العربي والتراث الألباني بشكل عام، وبين التراث اللساني العربي والتراث اللساني الألباني بشكل خاص.

ومن هنا، سأذكر عدة عناوين الأبحاث المناقشة:

- "إعادة تفكير القِيَم في ضوء المفاهيم اللغوية للوحي: الإنسان والقرآن والجمال"
- "الأبعاد الدلالية واللسانية لسورة الانشراح"
- "تأثير اللغة العربية في الخطابات الدبلوماسية"
- "ابن المقفع حياته ومؤلفاته (المترجمة إلى اللغة الألبانية)"
- "فتاح أفندي: شاعر ووطني مشهور في مدينة سكوبيا"
- "الكلمات التركية بأصل عربي في معجم اللغة المقدونية"
- "الموضوعية الإسلامية في الأدب الألباني"
- "فعل الأمر للأفعال الناقصة في سورة البقرة"
- "الاسم المنصوب في سورة النساء"
- "معالجة مقارنة بين "رسالة غفران" لأبي العلاء المعري وبين "الكوميديا الإلهية" لدانتي أليغييري"

- "جوانب تاريخية للأدب الألباني المكتوب بالخط العربي"
- "دور الدراسات الاستشراقية في تطوير القيم التعليمية والعلمية الإسلامية عند الألبانيين"
- "معاني حروف الجر وتحليلها وترجمتها إلى الألبانية في سورة يس"
- "الكلمات العربية في المطبخ الألباني"
- "الآثار الإسلامية من العهد العثماني في الأراضي الألبانية"
- "المناهج التطبيقية في تعليم اللغة العربية"
- "موقف المستشرقين من القرآن الكريم والسنة النبوية"
- "البعد الديني والجمالي في الكتاب "أحسن القصص" لحافظ علي كورتشا"
- "طلاب تيتوفا الخريجون في البلدان العربية 1995-2010"
- "ترجمة المؤلفات الأدبية العربية إلى اللغة المقدونية"
- "شمس الدين سامي فراشري – حياته ومؤلفاته"
- "البعد الدلالي للمقترضات العربية في اللغة التركية"
- "الأعمال المترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الألبانية في مقدونيا 2000-2015"
- "تعلم اللغة العربية في كتاتيب مدينة تيتوفا"
- "فعل الأمر في سورة النساء – تحليل لغوي"
- "طه حسين – حياته ومؤلفاته (وترجمتها إلى اللغة الألبانية)"
- "التأثير الثقافي والديني في الأدب البيتجي"
- "حياة الإمام وهبي إسماعيلي وأعماله"
- "مقارنة بين الثقافة الإسلامية والغربية"
- "المفردات العربية في المعجم الاشتقاقي الألباني لِكوليتس توبالي"
- "الاصطلاح الديني الألباني في كتاب "مولد النبي" لحافظ إبراهيم داليبو"
- "تحليل المفردات الشرقية في الكتاب "يوسف وزليخى" لحافظ علي كورتشا"
- "الشعر في الجريدة "الصوت العالي""

كما نرى من البحوث السابقة، فهي تنتمي في مجال الثقافة واللغة والأدب وإلخ، وتتناول مسائل محورية وقضايا مهمة في حياة المسلمين بأكملهم. عمل علماء اللغة الألبانية وأدبِها وثقافتِها وتاريخِها كثيرا في إحياء الآثار اللاتيني والبيزنطية في حياة الألبانيين، وفضلا عن هذا، للأسف الشديد، حاول هؤلاء أن يطمسوا ويغطوا الآثار الإسلامية والعربية متأثرين من النظام التعليمي الشيوعي حينذاك.

وهكذا قرّر العلماء المسلمون تأسيس مدارس وكليات ومعاهد ومؤسسات ومنظمات ودير نشر ذات خلفية إسلامية ليدافعوا عن ذاتيتهم الإسلامية والأثر العربي الموجود في نواحي كثيرة من حياتهم العلمية والعملية. وتهتم هذه الدراسات بإخراج الآثار العربية والإسلامية من الأعمال الأدبية واللغوية والتاريخية والثقافية.

يجدر بالذكر هنا أن الآثار العربية والإسلامية كثيرة ومتنوعة في التراث البلقاني عموما وفي التراث الألباني خصوصا. وهذا يعني أن للدارسين والباحثين مازال أمامهم طريق طويل وللوصول إلى آخر المخازن الكثيرة المليئة بالآثار العربية والإسلامية.

وهكذا وسيدرك المسلمون أن التراث العربي والإسلامي جزء لا يتجزأ من ذاتيتهم وشخصيتهم الدينية والقومية، حتى لاحظ بعض المؤرخين الحقيقة أن التراث الإسلامي دافع عن الهوية الألبانية، وممن قالوا: لو لم يعتنق الشعب الألباني الدينَ الإسلاميَّ لاختفى في أنقاض التاريخ.

يمكن كل باحث علمي أن يجد اليوم في المكتبة العامة للدولة أكثر من ألفٍ ومائتي مخطوطةٍ عربية غير محققة حتى الآن، التي تنتظر الخروج من الصناديق القديمة والنجاة من التلف. كذلك عدد كبير من المخطوطات العربية موجودة في بيوت كثير من العائلات المتدينة.

هذه المخطوطات وكثير من الأعمال العلمية الأخرى هي فرصة رائعة للتعاون بين مؤسساتنا العلمية الأكاديمية. لذلك نقترح لكم التعاون معنا في المشاريع المتنوعة في المجال العلمي والأكاديمي والعملي، ولنكتشف الآثار القديمة وجذور اللغة العربية في ثقافتنا الإسلامية التي يرجع تاريخها إلى أكثر من ستة قرونٍ.